دراسات : مجلة كلية التربية ، جامعة الملك سعود ، م ٤ ، ص‌ص ١٩٣-٢٣٢ (١٩٨٢)

خريطة العالم الإسلامي

من القرن الأول الهجري حتى القرن الخامس عشر الهجري

الدكتور محمد محمود أحمد محمدين

كلية التربية، جامعة الملك سعود،الرياض، المملكة العربية السعودية.

تتتبع هذه الدراسة نمو خريطة العالم الإسلامي منذ أن ظهرت الدعوة الإسلامية من بداية القرن السابع الميلادي حتى الآن. وتناقش العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية التي أثّرت في انتشار الإسلام ونمو خريطة العالم الإسلامي.

ويقترح الباحث في هذه الدراسة معياراً جديداً للمقارنة بين الوحدات السياسية يعتمد على كل من الاستمرار الزمني لهذه الوحدات وعلى المساحة المكانية التي تشغلها.

ويطلق الباحث تعبيراً جديداً على هذا المعيار وهو المساحة الوجودية الزمانية المكانية ويعني الباحث بهذا المصطلح الجديد الاستمرار الزمني للمساحة المكانية.

وقد قدر الباحث المساحة المكانية الزمانية للعالم الإسلامي بنحو يتراوح ما بين ٢٥ ألف مليون كم٢/ سنة، و٢٨ ألف مليون كم٢/ سنة.

تمهيد

ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية مع بداية القرن السابع الميلادي، وكانت البيئة البشرية التي ظهر فيها الإسلام تشكل مجتمعاً قبلياً تبدو فيه كل قبيلة وكأنها دولة قائمة بذاتها، أو أمة مستقلة تعيش في إطارها الخاص وتنفرد عن غيرها. ولم يكن بين هذه القبائل من رباط إلا غارات أو ثأر وأحقاد، وأحياناً تقارب لا يرتكز إلا على نسب أو يستند إلى أحلاف.

من هذه القبائل المتنافرة صاغ الإسلام مجتمعاً عقائدياً جديداً، طارد كل عوامل الخلاف، وانهارت فيه الحواجز القبلية وفروق النسب والدم، والتقى الجميع في رحاب دعوة الإسلام وفي ظلال أخوة العقيدة.

وعلى الرغم من أن مكة المكرمة شهدت ميلاد الدعوة الإسلامية إلا أن مشركيها تصدوا لها حتى أمر الله نبيه محمداً عليه السلام بالهجرة إلى المدينة حيث تكونت نواة الأمة الإسلامية، إذ كانت وليداً غضاً فآوته المدينة وعاش في دفء ترحيبها وتحت إشراف محمد عليه السلام في ظلال ما أُوحى إليه من ربه.

لقد نما المجتمع الإسلامي بالمدينة وارتبط أفراده بوحدة الغاية، آمنوا بالإسلام وأخلصوا له فاندفعوا في اتجاه واحد ولهدف واحد، وتحت راية لا إله الا الله محمد رسول الله، أصبحوا جنوداً في جيش الإسلام لا أفراداً من قبائل متفرقة... وعلى أكتاف هؤلاء المخلصين انطلق الإسلام شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً... حتى استطاع في أقل من قرنين أن يصل إلى حدود الصين شرقاً وجنوبي فرنسا غرباً، وبذلك امتدت منطقة انتشار الدعوة الإسلامية امتداداً يصل إلى أكثر من ١٥ ألف كيلومتر من الشرق إلى الغرب، كما امتدت ما بين الشمال والجنوب أكثر من سبعة آلاف كيلومتر، وحينما نتتبع نمو خريطة العالم الإسلامي نجد أنه لم يكد ينتهي عهد أبي بكر خليفة المسلمين الأول (١٣هـ -٦٣٤م) حتى كانت كل جزيرة العرب (٣ مليون كيلو متر مربع) تقريباً تمثل دولة واحدة هي الدولة الإسلامية، وفي عهد عمر بن الخطاب

وعثمان نمت حدود الدولة الإسلامية فشملت أجزاء كبيرة من شمال إفريقيا حتى أطراف تونس الشرقية، وبلاد النوبة وامتدت شرقاً إلى شرقي إيران (شكل ١)، وفي عهد الدولة الأموية (٤١هـ -٦٦١م) وصلت الفتوح أقصاها في عهد الوليد، وأصبحت الدولة الإسلامية أو العالم الإسلامي يضم الباكستان وأفغانستان وأجزاء من الصين، كما وصلت الأطراف الغربية إلى المغرب الأقصى.

ولم تقف أطراف خريطة العالم الإسلامي عند هذه الحدود بل امتدت لتصل إلى إندونيسيا وذلك ابتداء من القرن الثامن الهجري، ١٤م، كما وصلت أيضاً إلى غربي إفريقيا حتى ساحل المحيط الأطلسي عند نيجيريا فيما بين القرنين ١٤، ١٩ الميلاديين.

وامتدت في شرقي إفريقيا جنوبي خط الاستواء لتشمل الصومال في القرن ١٥م وجزر زنجبار وبمبا وغيرها فيما بين القرنين ١٧، ١٨ الميلاديين.

مسالك انتشار الإسلام

ما أن ظهر الإسلام في الربع الأول من القرن السابع الميلادي حتى انتشر في عشرات قليلة من السنين ليصل إلى أطراف أوروبا الجنوبية غرباً، وإلى حدود الصين شرقاً، وقد ساعدت مجموعة من العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية على انتشار الإسلام، ولقد أشاع أعداء الإسلام أن الدين الإسلامي انتشر بحد السيف، وأن أولئك الذين تولوا نشر الإسلام هم جماعات من قساة البدو ساقها الجوع وأغراها الطمع فانتشرت شرقاً وغرباً وحملت هذه الجماعات قرآنهم في رقابهم، والسيوف في أيديهم، وبالسيف خضع الناس ودانوا للكتاب، وليس أدل على السذاجة وأبعد عن الصواب والصدق من هذا الظن الآثم، لهذا يحسن معالجة هذا الموضوع بأمانة ودقة حتى تكون الحقيقة وحدها هي الفيصل وحتى يستقر الحق في نصابه.

أولا: العوامل الجغرافية الطبيعية وأثرها في انتشار الإسلام

يقف الباحثون من العوامل الجغرافية الطبيعية وأثرها في انتشار الإسلام مواقف متباينة، فبعضهم يجعل للعوامل الجغرافية الطبيعية أهمية كبيرة تفوق حقيقتها، ويعرف

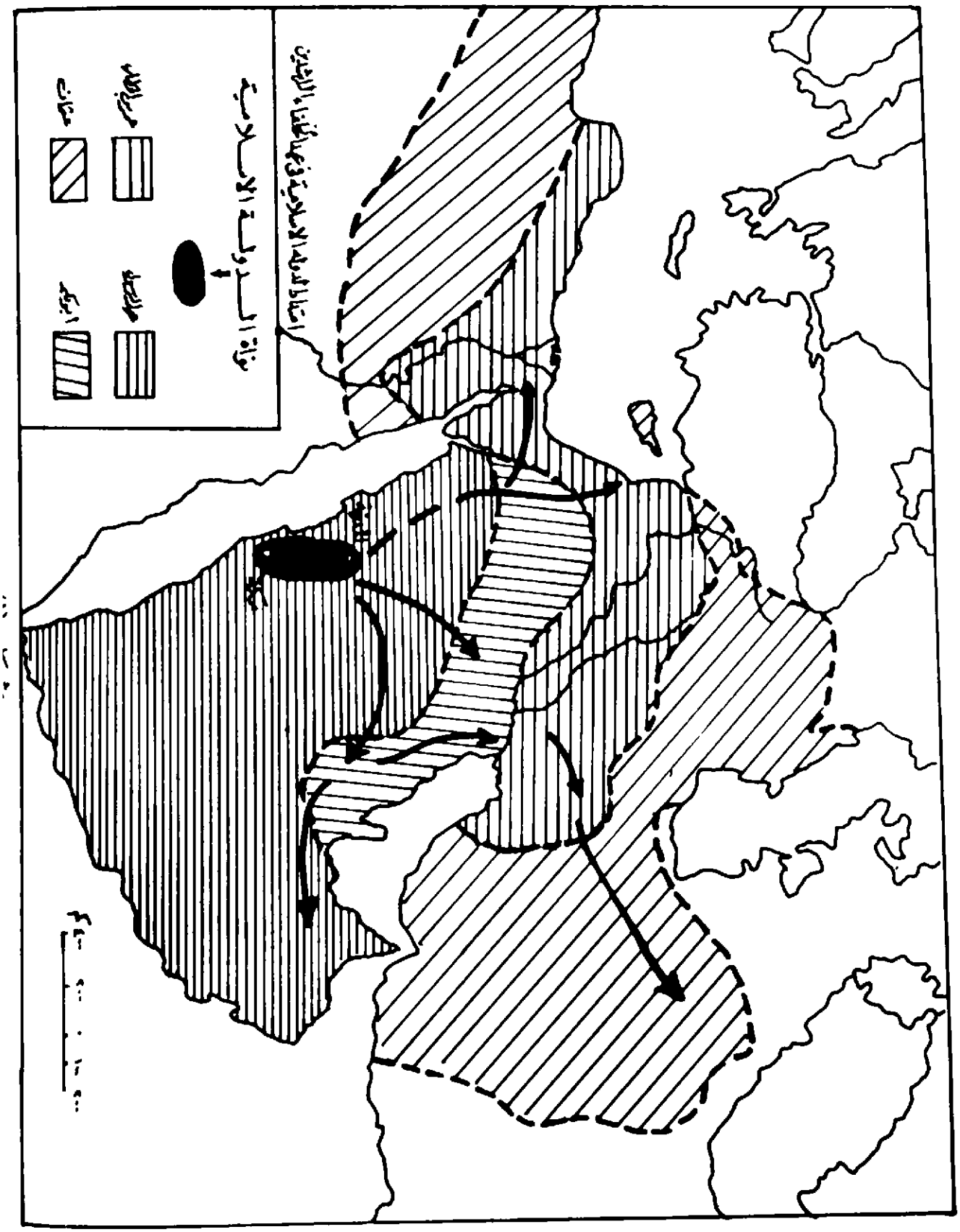
امتداد الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين
مكان
مصر الإقليم
العصبية
أسوان
مكة
بداية الدولة الإسلامية

هؤلاء الذين يبالغون في تقدير آثار الظروف الطبيعية «بأنصار الحتمية»، ويذهبون في ذلك إلى أن خريطة الإسلام ترتبط إلى حد كبير بالمناطق الجافة الصحراوية، ويشفع أصحاب هذه الحتمية دعواهم بخريطة توضح حدود المناطق الجافة (التي يقل متوسط مطرها السنوي عن ٢٥ سنتيمتراً) ويعقدون مقارنة بين هذه الخريطة وخريطة الأقطار الإسلامية.

وفريق آخر من الباحثين يقلل من أثر الظروف الطبيعية في انتشار الإسلام ويرى أنها لم تلعب في الحقيقة إلا دوراً ثانوياً باهتاً، وأن انتشار الإسلام إنما تم في الأغلب الأعم رغم أنف الظروف الجغرافية، ومن هؤلاء الباحثين، الأستاذ الدكتور يوسف أبو الحجاج[١].

ونحن لا نتفق مع كلا الفريقين فأثر الظروف الجغرافية لا يستهان به من ناحية، كما أننا لا نتخذ من الظروف الطبيعية حتميات انفردت بتحديد المسالك التي انتشر فيها الإسلام من ناحية أخرى. وحينما نناقش أثر الظروف الطبيعية في إطارها الحقيقي دون إهمال أو مبالغة نجد أن أهم هذه الظروف والعوامل الجغرافية تتمثل على النحو التالي:

أ) الموقع الجغرافي

ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية، التي أطلق عليه العرب قديماً «الجزيرة العربية»، على الرغم من أن المياه لا تحيطها إلا من ثلاثة جوانب: شرقاً وغرباً وجنوباً، وربما اعتبروا رمال النفود الكبير بحراً من الرمال أو أنهم أدركوا أن نهر الفرات يقترب كثيراً من الساحل الشرقي للبحر المتوسط مما يجعل الماء يكاد يحيط بها من جميع الجوانب.

---

(١) يوسف أبو الحجاج، نمط انتشار الاسلام، بحث قدم للمؤتمر الجغرافي الاسلامي الأول (الرياض) سنة ١٣٩٩هـ، سنة ١٩٧٩م.

وهناك مجموعة من الظروف التي تكاد تفرض شبه عزلة على الجزيرة العربية، وتتمثل في وجود التكوينات الرملية في أطراف شبه الجزيرة العربية الشمالية، وعند الأطراف الجنوبية والجنوبية الشرقية. وتمتد المرتفعات الغربية التي تمثل العمود الفقري لشبه الجزيرة العربية لمسافة تصل إلى ١٨٠٠ كم، وتترك بينها وبين الساحل سهولا جافة فقيرة ويندر وجود الموانى على الساحل الغربي.

وعلى الرغم من هذه العوامل، إلا أن شبه الجزيرة العربية لم تكن في معزل عن مواطن الحضارات الراقية في كل من فارس أو الشام أو مصر أو الحبشة، ولكنها لم تندمج في أي من هذه الدول اندماجاً تاماً بحيث يفقدها شخصيتها. فهي قريبة على البعد أو بعيدة على القرب، قريبة بحيث تتأثر بحضارتها، بعيدة بحيث لا تخضع تماماً لسيادتها[١].

لقد بدأت الدعوة الإسلامية في مكة، ثم انتشر الإسلام أول ما انتشر في المناطق التي تقع قريباً من مكة مهبط الوحي، ثم أخذت الدائرة التي ينتشر فيها الإسلام تتسع حتى عمت شبه الجزيرة العربية، ثم اتجهت صوب الشمالين الغربي والشرقي. وأول مناطق إفريقيا التي وصلها الإسلام هي السواحل الشرقية حيث ذهبت أول جماعة إسلامية مهاجرة في السنة الخامسة من النبوة قاصدة الحبشة، وإن كان الإسلام لم ينتشر في تلك المناطق إلا بعد ذلك بعدة قرون. وانتشر الإسلام شمالي إفريقيا قبل شرقيها، ولقد ساعد على ذلك أن آسيا تقترب اقتراباً كبيراً من قارة إفريقيا، حيث لا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر الذي لا يزيد متوسط عرضه على ٢٨٠ كيلومتراً، كما أن البحر الأحمر يضيق كثيراً عند باب المندب ولا يزيد اتساعه على ٣٢ كيلومتراً، وحينما نسأل أنفسنا لماذا انتشر الإسلام في أفريقيا منذ بداية ظهوره فلا يستطيع أحد أن ينكر أن موقع إفريقيا كان له أكبر الأثر. ولقد حدد موقع شبه الجزيرة العربية بالنسبة للقارات

---

(١) محمد السيد غلاب، الجغرافيا التاريخية للإسلام، القاهرة سنة ١٩٧٢م ص ٢٦.

المختلفة وبالنسبة لتوزيع اليابس والماء والمظاهر التضاريسية المختلفة، أهم الطرق التي سلكها انتشار الاسلام وكانت على النحو التالي:

مسالك انتشار الإسلام في آسيا

١ - الطرق البرية نحو الشمال إلى الشام ونحو الشمال الشرقي عبر جبال زاجروس والاتجاه شرقاً إلى إيران وأفغانستان.

٢ - الطرق التجارية عبر وسط آسيا عبر تركستان والصين.

٣ - الطرق البحرية إلى الهند والملايو وإندونيسيا والفليبين.

مسالك انتشار الإسلام في قارة إفريقيا

١ - طريق الساحل الشمالي عبر برزخ السويس.

٢ - طريق باب المندب والبحر الأحمر إلى الحبشة والصومال والسودان الشرقي.

٣ - الطريق البحري إلى شرقي إفريقيا ومدغشقر.

٤ - مجموعة طرق عبر الصحراء الكبرى إلى غربي إفريقيا والسودان الغربي، وبعض هذه الطرق ربط بين مدن الساحل الشمالي وغربي إفريقيا، وبعضها ربط ما بين مدن على النيل مثل أسيوط ودنقلة والخرطوم، وبين واحات ومدن وسط وغربي إفريقيا.

مسالك الإسلام إلى أوروبا

١ - الطريق من شمالي إفريقيا عبر مضيق جبل طارق، أو من ساحل تونس الى صقلية ثم إلى شبه جزيرة إيطاليا.

٢ - الطريق عبر البسفور وبحر مرمرة وشرقي أوروبا.

ب) المناخ

حينما نتتبع انتشار الإسلام، نجد أنه انتشر أول ما انتشر في المناطق ذات المناخات المشابهة لمناخ شبه الجزيرة العربية، ولما كانت النطاقات المناخية تمتد من

الشرق إلى الغرب مع اختلاف بسيط بسبب مظاهر السطح وتوزيع اليابس والماء، فإننا نجد أن الانتشار الجغرافي للدعوة الإسلامية امتد من الشرق إلى الغرب أكثر من امتداده بين الشمال والجنوب، لأن الامتداد من الشرق إلى الغرب يرتبط بدرجات عرض معينة متشابهة والظروف المناخية تتشابه إلى حد كبير كما سبقت الإشارة، ولهذا امتدت الدعوة الإسلامية امتداداً يصل إلى أكثر من ١٥ ألف كيلومتر من الشرق إلى الغرب، وامتدت ما بين الشمال والجنوب أقل من ٧٥٠٠ كم (أي أقل من نصف الامتداد ما بين الشرق إلى الغرب)؛ وسبب ذلك هو أن المناخ يتغير بالاتجاه صوب الشمال أو الجنوب. فالامتداد شمال شبه الجزيرة العربية يؤدي إلى انخفاض درجة الحرارة، والامتداد جنوب شبه الجزيرة العربية يؤدي إلى ارتفاع درجة الحرارة. ويذكر بعض الباحثين[١] أن العرب حينما شرعوا في فتح العراق لم يخرجوا عن بيئتهم الطبيعية بل وجدوا أنفسهم في بلاد صحراوية، لا تشبه بلادهم فحسب بل هي جزء متمم لها. وكان العرب يعتصمون بالصحراء ويجعلون ظهورهم إليها دائماً، ويفتحون القرى التي على حافتها. ولقد عزا كثير من الباحثين هزيمة المسلمين في موقعة « بلاط الشهداء » جنوبي فرنسا إلى اختلاف الظروف البيئية ووجود الغابات وبسبب شدة البرودة، كما كانت الظروف المناخية من أسباب فشل المسلمين في فتح القسطنطينية عدة مرات، وذلك قبل أن ينجح العثمانيون في فتحها. كما أن البرد القارس هو الذي حال دون توغل العرب في سفوح طوروس الشرقية التي لم يفتحها إلا السلاجقة الذين تعودوا على المناخ البارد، وذلك في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). ومن ناحية أخرى، ساعد انتظام هبوب الرياح الموسمية على المحيط الهندي في تنظيم الرحلات البحرية بين سكان شواطيء شبه الجزيرة العربية وشرقي إفريقيا، ذلك أن الرياح الموسمية الشمالية الشرقية تهب في فصل الشتاء (ديسمبر - يناير - فبراير) فتدفع السفن الشراعية من شواطيء شبه الجزيرة العربية إلى شرقي

---

(١) محمد أحمد حسونة، أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية، القاهرة، سنة ١٩٥٠م، ص ٢٢.

إفريقيا، وتهب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية خلال فصل الصيف (شهور يونيو - يوليو - أغسطس) فتحمل التجار من الساحل الإفريقي إلى سواحل بلاد العرب وبلاد الهند. ويكون هبوب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية عادة هادئاً فيصبح المحيط مناسباً للملاحة مما دفع البحارة إلى تسمية هذا الفصل بفصل «البحر المفتوح». أما الرياح الموسمية الجنوبية الغربية فإن هبوبها كثيراً ما يكون شديداً فتجعل الملاحة خطرة بالنسبة للسفن، ولذلك أطلق البحارة تعبير «البحر المغلق» على فصل هبوبها. ويُرجع بعض الباحثين انتشار الإسلام إلى تذبذبات مناخية. وأن انتشار الإسلام يُعد بمثابة هجرة سامية كهجرات الآراميين والكنعانيين. وهذا زعم باطل لأن الجفاف كان معروفاً في شبه الجزيرة قبل ظهور الإسلام. فلم تكن الفتوح الإسلامية بسبب الجفاف. كما أن المسلمين لم يستقروا في البلاد التي فتحوها ولم يستوطنوا فيها على نطاق واسع كهجرات الساميين التي اشترك فيها الساميون برجالهم ونسائهم وأطفالهم وحيواناتهم[1].

جـ) أثر النبات الطبيعي

للنبات الطبيعي أثر كبير في الفتوح الإسلامية، إذ أن المسلمين اتجهوا بفتوحاتهم وهجراتهم أول الأمر إلى المناطق شبه الجافة. لأنها تشبه بيئتهم الجغرافية، التي نشأوا فيها وخرجوا منها. ويمتد الإقليم شبه الصحراوي والصحراوي في قارتي آسيا وإفريقيا امتداداً متصلا. ويُعد البحر الأحمر بحيرة داخلية في هذا النطاق الصحراوي ذي الخصائص والصفات المتشابهة.

ولقد ساعدت الظروف المناخية والنباتات الطبيعية المتشابهة على سهولة انتقال الإبل والخيل ونشر الإسلام في هذه المناطق التي تشابه ظروفها ظروف شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام. ولقد صدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله «لا يفلح العربي إلا حيث يفلح الجمل». وكان عمر قد شاهد بعض المسلمين الذين عادوا من

---

(١) يوسف أبو الحجر، المصدر السابق.

إيران بعد فتحها، فهاله شحوب ألوانهم وضعف أجسامهم فسأل عن السبب، فأجابوه بأن هواء المدائن لا يوافق أمزجتهم، فأمرهم باختيار مكان تصلح فيه الإبل، وشرط عليهم أن يكون للمكان المختار ماء صالح.

ويميل بعض الباحثين الذين يغالون في تقدير أثر الظروف الطبيعية إلى تعليل تراجع الإسلام عن الشواطيء الأوروبية للبحر المتوسط إلى أن الإسلام ظهر في بيئة رعوية تنظر إلى الزراعة نظرة احتقار، غير أن هذا الرأي لا يقوم على أسس علمية. لأن الإسلام انتشر بين شعوب زراعية، كما هي الحال في باكستان وبنغالادش وإندونيسيا، كما أن الزراعة كانت تمارس في واحات شبه الجزيرة العربية، واليمن، والأحساء وبالقرب من المدينة وغيرها من المناطق. وقد تناول العقاد ما ذكره الباحث الفرنسي اكسافييه دي بلانهول Xavier de palnhol في كتابه (عالم الإسلام) بالنقد. إذ أن هذا الباحث قد ذكر أن الإسلام تراجع عن الشواطيء الأوروبية لسبب يتعلق بطبيعة الدين الإسلامي، ولا ينحصر في أسباب السياسة ولا في المقاومة من جانب الأمم الأوروبية، وهذا السبب هو أن الإسلام ينظر إلى الزراعة نظرة الترفع والإهمال، وأن النبي عليه السلام نشأ في بيئة تجارية بين علية قومه من التجار... ويشير هذا الباحث الفرنسي إلى أن المسلمين بقوا في الشواطيء الإفريقية لأن الزراعة فيها لا تحتاج الى مجهود ولا تزال الصحراء من ورائها تعتمد على المطر والرعي. ويرد العقاد على هذا الرأي بقوله: والعجيب في هذا الرأي، أن يتفق عليه جملة من الباحثين في الجغرافيا الدينية مع سهولة الاهتداء إلى وجه الصواب فيه لوأنهم يشاؤون أن يلتفتوا إليه ويشير العقاد إلى بقاء الزراعة في وادي النيل وهو أرض زراعية تعتمد فيها الزراعة على الري ويعمل فيها الفلاحون عملا مجهداً يشق على الفلاحين في غيرها[١].

وكان نطاق الحشائش شبه الصحراوية ذا أثر كبير في سهولة انتقال المسلمين

---

(١) عباس محمود العقاد. ما يقال عن الاسلام. العالم الاسلامي والجغرافيا الدينية مجلة الأزهر. ربيع أول سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٩م)، ص ص ٣٥٠-٣٥٨.

وهجراتهم بإبلهم وخيولهم، وقد شق المسلمون طريقهم إلى شرقي إفريقيا في نطاق الحشائش والمناطق شبه الجافة لأنها مناطق سهلية مكشوفة تستطيع الإبل والخيول السير فيها وقت الجفاف، أما إذا حل فصل المطر فإنها لا تستطيع التقدم وتبقى حتى ينتهي هذا الفصل، ومن ذلك يتضح لنا أن الحشائش والمناطق الصحراوية وشبه الجافة كانت أسبق المناطق التي ارتادها المسلمون لأنها مناطق تستطيع الإبل والخيل أن تعيش فيها وأن تتحرك عليها. وكانت الغابات الاستوائية حاجزاً نباتياً حال دون انتشار الإسلام بسهولة في وسط إفريقيا، لأن الغابات الاستوائية كثيفة الأشجار، متشابكة الأغصان مما يعوق حركة الإبل والخيل. ووفقاً للإحصاءات الحديثة فإن أقل نسبة للمسلمين بأفريقيا ترتبط إلى حد ما بمناطق الغابات الاستوائية كما هي الحال في زائير!

وإن كانت هذه الملاحظة لا تنطبق على إندونيسيا التي انتشر فيها الإسلام عن طريق التجار المسلمين الذين أتوا من الهند في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي).

د) التضاريس

لمظاهر التضاريس المتنوعة آثارها التي لا تنكر بالنسبة لسهولة المواصلات. وعموماً، تُعد مظاهر التضاريس المتنوعة من العوامل الجغرافية الهامة التي أثرت إلى حد كبير في انتشار الإسلام.

فالمناطق السهلية المكشوفة كانت سهلة الارتياد مما ساعد على انتشار الإسلام بها، أما المناطق الجبلية والهضبية فهي من العوامل التي دفعت المسلمين إلى الابتعاد عنها إلى حد ما.

ومن أمثلة ذلك، أن المسلمين حينما طاردوا الفرس اعتصم الفرس بجبال زاجروس، ووقف المسلمون عند سفوح هذه الجبال لاعتقادهم أنها فاصل طبيعي،

ولأنهم لم يألفوا حروب الجبال. ولما رأت الفرس وقوف المسلمين عند سفوح هذه الجبال فكروا في استغلال وديان الأنهار للانقضاض على المسلمين، فحشدوا جيوشهم في حصن منيع هو جلولاء (على الحدود بين إيران والعراق) على وادي ديالى، ثم أخذوا ينقضون على المسلمين حتى أدرك هؤلاء أن بقاءهم مرهون بانتزاع جلولاء من الفرس، وكان أن حاصرها المسلمون واستولوا عليها. وطارد المسلمون الفرس إلى موقع جبلي وعر هو نهاوند حيث استطاع المسلمون أن ينتصروا على الفرس (٢١ هـ -٦٤٢م) وقد سموا هذا الانتصار (بفتح الفتوح) لأنه لم يكن انتصاراً سهلا بل كان في منطقة جبلية وعرة.

ولقد أدى اقتراب الجبال والهضاب من الساحل الشرقي في إفريقيا إلى توجيه الهجرات إلى الجنوب على امتداد الساحل الشرقي لإفريقيا. لأن هذه المرتفعات كما هي الحال في هضبة الحبشة تمثل سوراً أو حاجزاً طبيعياً يعوق اتصال الساحل بداخلية القارة.

ومن الملاحظات الجديرة بالذكر، أن المسلمين في بداية فتوحاتهم كانوا يكرهون أن تفصل الممرات المائية بينهم وبين مصادر التموين. وحينما قرر المسلمون بناء البصرة اختاروا موقعها بحيث تكون إلى الغرب من النهر، وفي مواجهة وادي قارون وهو محور هجوم الفرس في الجنوب، كما اختير موقع الكوفة إلى الغرب من نهر الفرات في مواجهة وادي ديالى وهو محور هجمات الفرس من الشمال. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لقادة جيوشه: لا تجعلوا بيني وبينكم ماء، متى شئت آتيكم ركبت ناقتي فأتيتكم». ولعل إنشاء مدينة الفسطاط واختيار موقعها على الضفة الشرقية لنهر النيل، يوضح هذه الفلسفة الاستراتيجية.

ومن ناحية أخرى، نجد أن جبال البرانس بين فرنسا وأسبانيا كانت من الأسباب التي لم تتح للمسلمين الانتصار في غالة (فرنسا) لأن عبورها كان يرهق جيوش المسلمين ويعيق سرعة وصول المدد إليهم. كما أن منطقة جيليقية الجبلية الواقعة في الشمال

الغربي من شبه جزيرة أيبريا كانت المنطقة الوحيدة التي لم يسيطر عليها المسلمون في شبه جزيرة أيبريا، كما كانت ملاذاً تحتمي به الجماعات التي كانت تُغير على المسلمين من حين إلى آخر، والتي كان لها دور كبير في هزيمة المسلمين وسقوط دولتهم بالأندلس.

ولعبت الأودية والواحات في النطاقات الصحراوية دوراً كبيراً في انتشار الإسلام، ويسرت هجرات المسلمين كما هي الحال في شمالي إفريقيا. وحينما ننظر إلى خريطة العالم الإسلامي، نرى أنه يمتد امتداداً متصلا في قارتي إفريقيا وآسيا من خط طول ١٨ غرباً إلى خط طول ٧٥ شرقاً حيث توجد كتلة جبال هيمالايا، ثم تظهر كتلة إسلامية أخرى بعضها ذو طبيعة جزرية تتمثل في ماليزيا وأندونيسيا وبنغلاديش وتمتد ما بين خط طول ٩٠ إلى ١٤٠ شرقاً.

ثانياً: العوامل البشرية

تتمثل العوامل الجغرافية البشرية التي ساعدت على انتشار الإسلام في: طبيعة الشعوب - سماحة الإسلام وأسلوب الدعوة - فساد أحوال الشعوب - الهجرات.

أ) طبيعة الشعوب

كانت معظم الشعوب التي قامت بنشر الإسلام وتبليغ رسالته بدوية رعوية أو شبه رعوية، ومن هذه الشعوب العربية وغير العربية، لأن الدعوة إلى الإسلام واجبة على كل مسلم ولذا أسهم في نشر الإسلام شعوب متنوعة وأقوام عديدة من كل الذين اعتنقوا الإسلام. وأهم الشعوب التي أسهمت في نشر الإسلام:

الطوارق وقد قاموا بنشر الإسلام في غربي إفريقيا، والفولاني الذين يسكنون المنطقة التي تمتد جنوبي المغرب والسنغال، وقد نشروا الإسلام في نيجيريا وتشاد والنيجر وغيرها من المناطق المجاورة. ونشرت قبائل الصومال والعفر والبجه الإسلام في شرقي إفريقيا. وإلى جانب البدو والرعاة قام التجار العرب بنشر الإسلام في شبه

الجزيرة الهندية،كما نقل التجار المسلمون من شرقي إفريقيا وشبه الجزيرة العربية الإسلام إلى جزر الملديف. وقام بنشر الإسلام في إندونيسيا التجار المسلمون الهنود.

ولكن الحقائق الجديرة بالذكر أن الدعوة إلى الإسلام لم تكن حكراً للعرب دون سواهم وإنما كانت الدعوة واجباً على كل مسلم.

ب) سماحة الإسلام

رسالة الإسلام رسالة عقلية روحية تهدف إلى خير الإنسان وسعادته، جاءت تجيب عن جميع التساؤلات التي عجزت الديانات المختلفة السائدة في عصر الجاهلية أن تجد إجابة لها، ولقد كان لاختلاف الديانات وتعددها أثر قوى في زعزعة الثقة وعدم الإيمان بصدقها.

لقد وقف الإسلام من الأديان موقفاً ودياً، إذ أن أحد شروط صحة العقيدة الإسلامية «الإيمان بالرسل السابقين»، وشعار الإسلام دائماً «لا إكراه في الدين»، ومن أبرز الأمثلة التي توضح سماحة الإسلام، موقف المسلمين يوم فتح مكة حيث أمرهم النبي عليه السلام بعدم القتال إلا دفاعاً عن أنفسهم، كما أن معاملة النبي عليه السلام لقريش يوم دخلها في عشرة آلاف من أصحابه هي دليل قاطع وأكيد على أن السيف لم يكن وسيلة للدعوة إلى الإسلام، ولم يكن إكراه الناس وقهرهم ليدخلوا الإسلام سبباً في فتح مكة، ولكن السبب المباشر هو أن قريشاً لم تحترم هدنتها وصلحها مع محمد عليه السلام، ذلك الصلح الذي صاغت بنوده وأملت كلماته، بل راحت تتحدى محمداً عليه السلام فقبل هذا التحدي. ولقد ساعد على انتشار الإسلام أنه دين يدعو إلى التسامح. ولقد جاء في صلح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل بيت المقدس (لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم) وحينما فتح المسلمون الأقطار المختلفة خيروا الناس بين الإسلام والجزية، وكانت الجزية مبلغاً بسيطاً، فلو كان السيف هو وسيلة الدعوة فما كان للناس خيار، ولما اشترى أي إنسان في البلاد المفتوحة

عقيدته بدينار أو نصف دينار[١]، وإذا كان الدينار أحب إلى أي شخص من دينه فالإسلام أولى بهذا الشخص[٢].

ولم يكن الغرض من فرض الجزية أن تكون عقاباً لمن امتنع عن قبول الإسلام، إنما كانت في مقابل الحماية التي كفلتها لهم سيوف المسلمين، ولقد أعفى المسيحيون الذين دخلوا في خدمة جيش المسلمين من هذه الضريبة مثل قبيلة الجرجمة[٣].

فالإسلام يسع الناس جميعاً من كل أمة ويؤوي إليه الشعوب من كل مِلَّة. كما يدعو إلى أخوة البشر فلا عنصرية في الإسلام ولا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، ولا فضل لأبيض على أسود. ولم تكن هذه المبادىء مجرد شعارات تتردد وتذهب أصداؤها ولكنها كانت واقعاً عاشه المسلمون فترابطت الأمة الإسلامية وصارت الأخوة الإسلامية أوثق وأسمى من الروابط الأخرى. وكان التطبيق الحقيقي لمبادىء الإسلام أحد العوامل البشرية التي ساعدت على انتشار الإسلام في كثير من المناطق والبلدان. ولم ينتشر الإسلام في غربي إفريقيا كما يقول بعض المفترين بين أقوام من السذج الذين كانوا «صيداً سهلاً» للإسلام. بل انتشر الإسلام لسماحته وتطبيقه العملي لمبادىء المساواة. أما ما يقوله بعض المبشرين من أن سبب انتشار الإسلام بين هذه الأقوام يرجع إلى أن الإفريقيين كانوا بسطاء وبدائيين فهذا قول تكذبه الشواهد التاريخية، إذ أن منطقة غربي إفريقيا عرفت كثيراً من الممالك المنظمة قبل وصول الإسلام مثل مملكة «الماندنجو» وغيرها. والسؤال الذي يوجه إلى هؤلاء المُفْتَرين أن

---

(١) جاء في كتاب الخراج الذي وضعه أبو يوسف تلبية لرغبة هارون الرشيد أن على الموسر أن يدفع سنوياً ٤٨ درهماً، وعلى الوسط ٢٤ درهماً، بينما يؤخذ من العامل بيده اثني عشر درهماً، وعشرة دراهم تعادل ريالا سعودياً. الباحث.

(٢) عبد الرحمن عزام، الرسالة الخالدة، دار الشروق، طبعة بيروت، الطبعة الرابعة ص ص ٣٠٣-٣٠٥، بتصرف.

(٣) أرنولد، سيرتوماس، الدعوة إلى الإسلام، القاهرة، سنة ١٩٧٠م، ص ٨٠.

المسيحية عرفت طريقها إلى إفريقيا قبل الإسلام فلماذا لم تنتشر بين هؤلاء السذج البسطاء !!.

ج) فساد أحوال الشعوب في ظل أنماط الحكم المختلفة

عاشت كثير من الشعوب ظروفاً قاسية تحت حكم الأجانب. ورأت هذه الشعوب في الإسلام خلاصها وإنقاذها فرحبت به. وعلى الرغم من أن هذه الشعوب كانت تدين بدين الحاكمين لها، إلا أنها قاست من الاضطهادات الدينية وتعدد أنواع الضرائب التي وصلت في بعض الأقطار إلى عشرين نوعاً من الضرائب كما كانت الحال في بعض الأقطار تحت حكم البيزنطيين، وكان بعض الأقباط في مصر يعذب ثم يلقي بهم في اليم[١]. وكانت أحوال الشعوب الأخرى التي خضعت لحكم الفرس سيئة. وعندما انتشرت الدعوة الإسلامية بينهم أصبحوا مواطنين لهم الحق في تولية الوظائف الكبرى في الدولة، ولا فرق بينهم وبين العرب، وخير مثال على ذلك بلال الحبشي وسلمان الفارسي وصهيب الرومي جمع بينهم الإسلام في أخوة كاملة تفوق أخوة الدم والجنس، ولم تلبث هذه الشعوب المختلفة التي عاشت أخوة الاسلام أن حملت راية الدعوة في حماس لا نظير له وإخلاص لا مثيل له.

د) الهجرات الإسلامية

هاجرت جماعات كبيرة من المسلمين من الجزيرة العربية إلى البلاد المجاورة فساعدت هذه الهجرات على انتشار الإسلام - وهذه الهجرات هي المسؤولة عن انتشار الإسلام في كثير من البلاد النائية مثل إندونيسيا والفلبين وغيرها. وقد مرت الهجرات إلى شرقي إفريقيا بمراحل على النحو التالي:

المرحلة الأولى: مرحلة الرحلات

وكانت عبارة عن رحلات من شبه الجزيرة العربية إلى شرقي إفريقيا طلباً للتجارة والتعرف على السواحل.

---

(١) أرنولد، المصدر السابق، ص ١٢٣.

المرحلة الثانية: الإقامة بالجزر الساحلية

تمثلت هذه المرحلة في اتخاذ بعض الجزر كمحطات في الطريق إلى الساحل الشرقي لإفريقيا، ومما ساعد على هذه المرحلة سهولة الدفاع عن الجزر.

المرحلة الثالثة: إنشاء المدن الإسلامية على ساحل شرقي إفريقيا

نتيجة لتعدد الرحلات والتعامل التجاري مع سواحل شرقي إفريقيا فقد توطدت الصلة بين العرب المسلمين وسكان سواحل شرقي إفريقيا مما جعل الإفريقيين يألفون المسلمين ويستأنسون بهم وشجع على ذلك إقامة العديد من الإمارات والممالك والمدن الإسلامية. ومن أبرز هذه الممالك ممالك «الطراز الإسلامي في الحبشة» ومن أهم المدن التي أنشأها المسلمون مدينة «مقديشو» ومدينة «كلوا».

وقد هاجر كثير من القبائل العربية خارج شبه الجزيرة العربية إلى الدول الآسيوية، مثل قبيلة أسد التي رحلت إلى العراق وسكن أفرادها الكوفة وما حولها، وقبيلة بكر بن وائل التي اتجهت إلى العراق، وقبيلة بني كلب التي هاجرت إلى الشام، وقبيلة طيء التي هاجرت إلى سوريا.

أقطار العالم الإسلامي

وسكانه

يمتد العالم الإسلامي امتداداً عظيماً يشمل في رحابه كثيراً من الدول والأقاليم المختلفة. ويختلف الباحثون في تقدير عدد الدول الإسلامية فبعضهم يقدر عدد الدول الإسلامية بسبع وخمسين وحدة سياسية[1] موزعة على النحو التالي:

١ - تسع وعشرون وحدة سياسية في آسيا، وتتضمن هذه الوحدات ست جمهوريات إسلامية في الاتحاد السوفييتي.

---

(١) محمد السيد غلاب، حسن عبد القادر، محمود شاكر، البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية في العالم المعاصر، من مطبوعات المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، صفر ١٣٩٩هـ، يناير ١٩٧٩م.

٢ - سبع وعشرون وحدة سياسية في إفريقيا.

٣ - دولة واحدة إسلامية في أوروبا.

ويقدر فريق آخر من الباحثين المسلمين عدد الدول الإسلامية بخمسين دولة (اثنتان وعشرون دولة آسيوية، وسبع وعشرون دولة إفريقية، ودولة أوروبية).

وفي دراسة أجراها فريق من الباحثين بمجلة Time[١] قُدِّر عدد الدول الإسلامية بسبع وثلاثين دولة على النحو التالي:

١ - عشرون دولة إسلامية في آسيا.

٢ - ست عشرة دولة في إفريقيا.

٣ - دولة واحدة في أوروبا هي ألبانيا.

ونقدر نحن عدد الدول الإسلامية بأربعين دولة موزعة على النحو التالي:

١ - عشرون دولة إسلامية في آسيا.

٢ - تسع عشرة دولة إفريقية.

٣ - دولة واحدة أوروبية.

إن هذه الاختلافات في تقدير عدد الأقطار الإسلامية لأمر يدعو إلى الدهشة، لكن هذه الدهشة سرعان ما تزول إذا ما تتبعنا أسباب هذه الاختلافات والتي تتمثل في اختلاف المصادر الإحصائية التي يُعتمد عليها. وهناك مجموعة من العوامل تضافرت في تجسيد هذه الاختلافات وأهم هذه العوامل هي:

١ - عدم اهتمام كثير من الدول بإحصاء الأقليات الدينية بحجة أن مثل هذه التعدادات تؤدي إلى مشكلات طائفية.

٢ - يعيش معظم المسلمين في أقطار نامية لا تجرى إحصاءات حيوية خاصة بعدد

---

(١) The World of Islam, special report, The weekly Newsmagazine Time, April 16, 1979, PP. 6-16.

المواليد والوفيات والزواج والطلاق وعدد أفراد الأقليات الدينية المختلفة.

٣ - يضطر كثير من المسلمين في الأقطار التي تعتنق الفلسفات المادية وتشجع الردة والدعاية ضد الدين إلى إخفاء عقائدهم وشعائرهم الدينية، وبالتالي التظاهر باعتناق المعتقدات التي تساير الاتجاه العام للدولة حتى يكونوا في جانب الأمان ولا يُحرموا من الوظائف الكبرى.

٤ - يسود اتجاه عام بين الاستعماريين الأوروبيين والشيوعيين الملحدين إلى تقدير عدد المسلمين بأقل من عددهم الحقيقي، حتى لا يشعر المسلمون بحجمهم العددي الحقيقي، وتقدر بعض الدوائر غير الإسلامية عدد المسلمين بأقل من ٥٢٠ مليوناً[١].

٥ - يميل كثير من الباحثين المسلمين إلى المبالغة في تقدير عدد المسلمين ومن هؤلاء من يقدر عدد المسلمين بأكثر من ألف مليون مسلم.

٦ - تتباين التعدادات التي تجري في أقطار العالم الإسلامي من حيث مواعيدها ومن حيث دقتها.

٧ - هناك بعض الدول الإفريقية التي لم تعرف التعدادات، وكل ما هناك من أرقام ليست إلا تقديرات أجرتها الحملات التنصيرية وفق ما يخدم أغراضها.

٨ - يدخل بعض الباحثين الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفييتي كوحدات إسلامية مستقلة، كما يدخل فلسطين المحتلة كذلك وبروناي في تعداد الدول الإسلامية ومعروف أن بروناي تخضع لإشراف بريطانيا حتى ١٩٨٣م.

٩ - يختلف الباحثون حول تحديد مفهوم الدول الإسلامية، هل هي الدولة التي تزيد فيها نسبة المسلمين على نصف سكانها؟ أم أن البلد يعد إسلامياً إذا كانت نسبة المسلمين تزيد على أي من نسب أتباع الديانات الأخرى حتى وإن لم تتجاوز هذه

---

(١) The World Almanac, Published Annually by Newspapaer Enterprise Association, Inc., New York, 1975, P. 322.

النسبة ٤٠٪ من جملة السكان، وفي رأيي (وهذا ما اتبعته في هذا البحث) أن الدولة تعد إسلامية إذا كان المسلمون فيها يمثلون أكبر نسبة بين أي من الديانات المختلفة التي تسود هذه الدولة.

في ظل العوامل السابقة نجد أن اختلاف الباحثين في تقدير عدد المسلمين وعدد الأقطار الإسلامية ليس من الأمور التي تدعو للدهشة، وقد ظهر هذا الأمر جلياً في الأبحاث التي قدمها الجغرافيون للمؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول في يناير سنة ١٩٧٩، فبينما ذكر بعض الباحثين دولاً مثل ساحل العاج، والكاميرون، وسيراليون وتوغو وبنين (داهومي) كدول إسلامية، عدَّها بعض الباحثين دول أقليات إسلامية كبيرة.

وفي رأينا أن دول العالم الإسلامي تتوزع على النحو التالي:

أولاً: الدول الإسلامية في آسيا ونسب المسلمين بها[١] (شكل ٢)

الدولة	المساحة كم٢	عدد السكان بالمليون	مصادر إسلامية		مصادر غير إسلامية[٢]	
			عدد المسلمين (مليون)	نسبتهم المئوية ٪	عدد المسلمين (مليون)	نسبتهم المئوية ٪
الأردن	٩٦٠٠٠	٣	٢,٧٦	٩٢	٢,٧	٩٣
أفغانستان	٦٥٠٠٠٠	١٩	١٨,٨	٩٩	١٤,٤	٩٩
اندونيسيا	١٩٠٠٠٠٠	١٣٧	١٢٤,٧	٩١	١٢٣,٢	٩٠
إيران	١٦٣٠٠٠٠	٣٥	٣٤,٣	٩٨	٣٤,١	٩٨
باكستان	٨٠٠٠٠٠	٧٥	٧٢,٨	٩٧	٧٢,٣	٩٧
بنغلاديش	١٤٣٠٠٠	٨٠	٧٠	٨٨	٧٠,٨	٨٥
البحرين	٥٩٨	٠,٢٥	٠,٢٤	٩٩	٠,٣	٩١
تركيا	٧٨١٠٠٠	٣٩	٣٨,٢	٩٨	٤١,١	٩٨
السعودية	٢٢٠٠٠٠٠	٧,٨	٧,٨	١٠٠	٧,٢	٩٦

سوريا	١٨٥٠٠٠	٨	٧	٨٧	٦,٨	٨٧
العراق	٤٤٤٠٠٠	١٢	١١,٤	٩٥	١١,٢	٩٥
قطر	٢٢٠٠٠	٠,١٥	٠,١٥	١٠٠	٠,١	١٠٠
الكويت	١٨٨٨٥	١,٣	١,٣ تقريباً	٩٩	١	٩٣
لبنان	١٠٤٠٠	٣,٥	٢	٥٧	١,٤	٥٠
ماليزيا	٣٣٧٠٠٠	١٣	٧,١٥	٥٥	٦,٥	٥٠
عمان	٢١٣٠٠٠	٠,٨	٠,٨	١٠٠	٠,٨	١٠٠
الإمارات	٨٦٦٠٠	٠,٣٠٠	٠,٣	١٠٠	٠,٢	٩٢
المالديف	٢٩٨	٠,١٤٠	٠,١٣٨	٩٩	٠,١	١٠٠
اليمن	١٩٥٠٠٠	٧	٦,٩	٩٩	٦,٥	٩٩
اليمن الديمقراطية	٢٩٠٠٠٠	١,٨	١,٧٨	٩٩	١,٦	٩٠
أقطار ذات أوضاع خاصة:						
فلسطين المحتلة	٢٠٧٠٠	٣,٧	٠,٤٤	١٢	٠,٤	٨
بروناي	٥٧٧٠	٠,٢٠٠	٠,١٥	٧٦	٠,١	٦٠

---

(١) هناك اختلاف في تقدير عدد السكان واختلاف في النسب كذلك، وقد اعتمدنا في تقدير عدد المسلمين ونسبهم على مصادر متنوعة، ونقصد بالمصادر الإسلامية، مطبوعات المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول. وأبرز المصادر التي اعتمد عليها البحث هي:

١ - محمد السيد غلاب، حسن عبد القادر صالح، محمود شاكر، البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة في العالم المعاصر، من **مطبوعات المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول**، الرياض، ١٩٧٩م.

٢ - **The Europa Yearbook**. 1977. A World Surrvey. Vols. 1.2.3.

٣ - **The Islamic Conference, Islamic World Gazeteer**, Karatchi, 1975.

٤ - Richard V. Weeks, **Muslim Peoples, A World Ethnographic Survey**, London, 1978.

(٢) اعتمدنا على تقدير مجلة Time (مصدر سبق ذكره)، ص ٩، وعلى **Muslim Peoples**

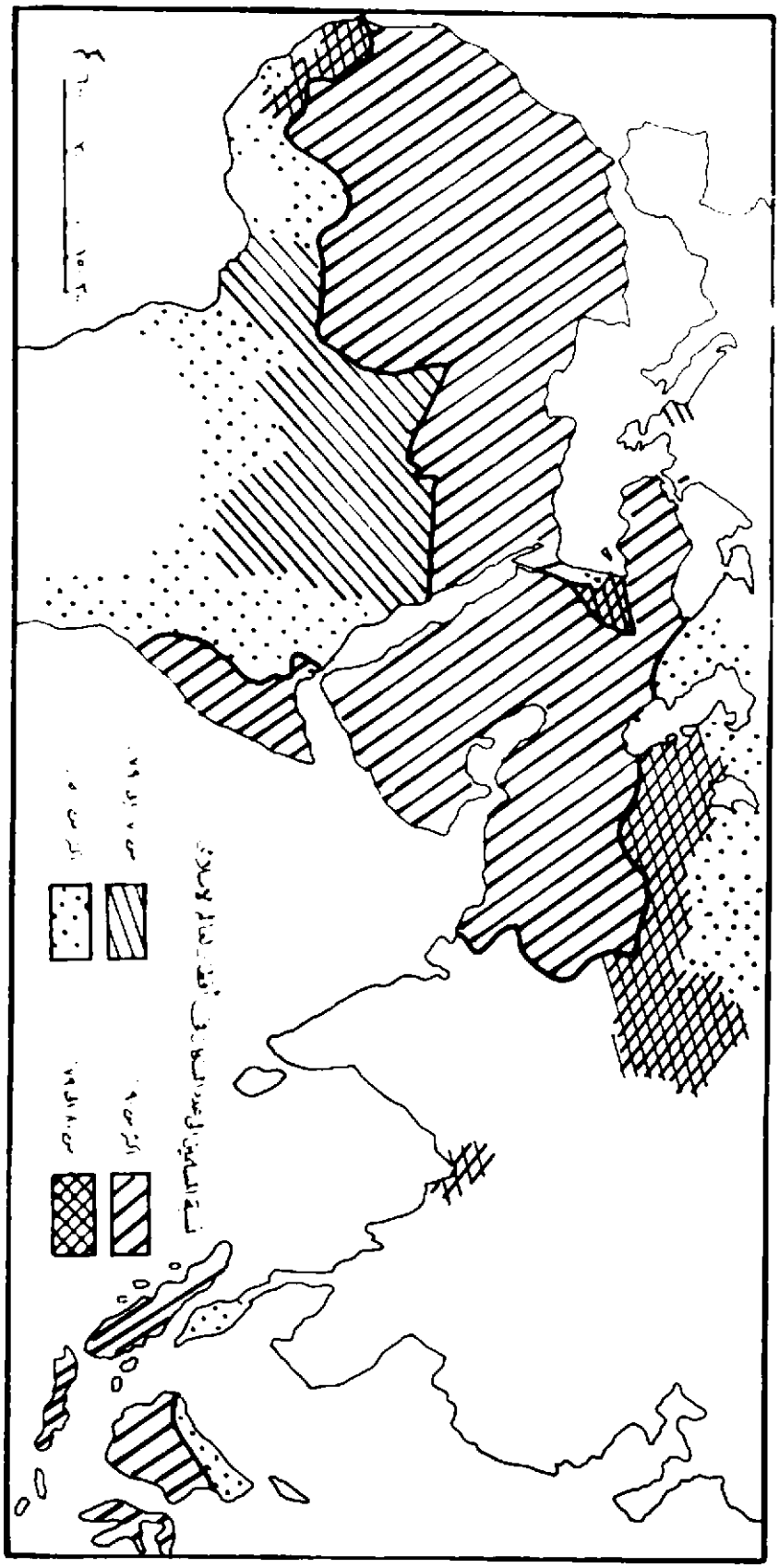

من الجدول السابق نجد أن عدد المسلمين في الأقطار الإسلامية الآسيوية يصل إلى أكثر من ٤٠٩ مليون حسب تقدير المصادر الإسلامية سنة ١٩٧٨م، بينما يصل عدد المسلمين في الدول الآسيوية حسب تقدير المصادر غير الإسلامية إلى أكثر من ٤٠٢ مليون.

ويصل عدد سكان الأقطار الإسلامية في آسيا إلى نحو ٤٤٨ مليوناً تقريباً، وبذلك تصل نسبة المسلمين في الأقطار الإسلامية الآسيوية إلى ٩١٪ من مجموع عدد سكانها. ويصل مجموع سكان ثلاثة أقطار آسيوية هي إندونيسيا وباكستان وبنغلاديش إلى ٢٩٢ مليوناً، أي أكثر من ٦٥٪ من مجموع سكان الأقطار الإسلامية الآسيوية، فإذا ما أضفنا دولتين أخريين هما تركيا وإيران يصير مجموع هذه الأقطار الخمسة ٣٦٦ مليوناً أي نحو ٨٢٪ تقريباً من مجموع سكان الأقطار الإسلامية الآسيوية العشرين. كما تزيد مساحة الأقطار الإسلامية الآسيوية على عشرة ملايين من الكيلومترات المربعة.

وتتوزع الأقليات الإسلامية بين أقطار آسيا على النحو التالي:

الدولة	مصادر إسلامية		مصادر غير إسلامية	
	عدد المسلمين (مليون)	نسبتهم المئوية ٪	عدد المسلمين (مليون)	نسبتهم المئوية ٪
الهند	٨٨	١٥	٨٠	١٣
الصين	٧٢[١]	١٠	١٧,٩	٢
الاتحاد السوفيتي	٦٠[٢]	٢٥	٥٠	١٩
منغوليا	٠,١	١٠	٠,١	١٠
سرى لانكا	١	٨	١	٧
سنغافورة	٠,٣٤	١٧	٠,٤	١٥

تايلاند	٥	١٢	٢	٤
بورما	٣,١	٧	١,٣	٤
الفلبين	٥	١١	٢,٣	٥
قبرص	٠,١٢٠	٢٠	٠,١	١٨

وعموماً يصل عدد الأقليات المسلمة في الأقطار الآسيوية إلى نحو ٢٣٥ مليوناً وفق تقدير المصادر الإسلامية، وإلى نحو ١٥٦ مليوناً وفق المصادر غير الإسلامية. وعلى ذلك، يصل مجموع عدد المسلمين في قارة آسيا إلى نحو ٦٨٣ مليون مسلم وفق تقديرات المصادر الإسلامية أي نحو ٧٢٪ من مجموع المسلمين في العالم (شكل ٣)، وإلى نحو ٥٥٧ مليون مسلم وفق تقديرات المصادر غير الإسلامية، ولا شك أن هناك تقارباً لا بأس به بين التقديرين حيث لا يزيد فرق تقدير المصادر الإسلاميةعلى ١٢٦ مليوناً أي بنسبة ١٨٪ فقط.

ثانياً: الدول الاسلامية في إفريقيا ونسب المسلمين فيها

تتباين تقديرات الأقطار الإسلامية وعدد سكانها في إفريقيا بين المصادر المختلفة كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ونستطيع أن نتناول أقطار إفريقيا على النحو التالي:

---

(١) تقدير دراسات المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول ونعتقد أن عدد مسلمي الصين لا يزيد على ٤٥ مليوناً.

(٢) اعتبرنا أن الاتحاد السوفييتي بشقيه الأوروبي والآسيوي قطراً آسيوياً.

أ - دول إسلامية بإجماع جميع المصادر الإسلامية وغير الإسلامية

الدولة	المساحة كم٢	عدد السكان بالمليون	مصادر إسلامية		مصادر غير إسلامية	
			عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم المئوية ٪	عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم المئوية ٪
١ - مصر	١٠٠٠٠٠٠	٤٣	٤٠	٩٣	٣٥,٤	٩١
٢ - السودان	٢٥٠٠٠٠٠	١٨	١٤	٧٨	١١,٧	٧٢
٣ - المغرب	٦٠٥٠٠٠	١٩	١٨,٦	٩٨	١٨,٣	٩٩
٤ - الجزائر	٢٣٠٠٠٠٠	١٧,٥	١٧	٩٧	١٧,٣	٩٧
٥ - مالي	١٢٤٠٠٠٠	٦,٣	٥,٧	٩١	٣,٥	٦٠
٦ - تونس	١٦٤٠٠٠	٦,١	٦	٩٩	٦,١	٩٩
٧ - السنغال	١٩٦٠٠٠	٥,٣	٤,٧	٨٩	٤,٣	٨٢
٨ - غينيا	٢٤٦٠٠٠	٤,٨	٤,٢	٨٧	٣,١	٦٥
٩ - النيجر	١٢٦٧٠٠٠	٥	٤,٧	٩٥	٤,٢	٨٠
١٠ - تشاد	١٢٨٠٠٠٠	٤,٣	٣,٢	٧٥	٢,١	٥٠
١١ - الصومال	٦٣٨٠٠٠	٣,٥	٣,٥	١٠٠	٣,٤	٩٩
١٢ - ليبيا	١٧٦٠٠٠٠	٢,٦	٢,٦	١٠٠	٢,٦	٩٨
١٣ - موريتانيا	١٠٣٠٠٠٠	١,٣	١,٣	١٠٠	١,٤	٩٦
١٤ - غامبيا	١١٣٠٠	٠,٦	٠,٤٨	٨٠	,٥	٩٠
١٥ - جزر القمر	٢٣٠٩	٠,٣	٠,٣	١٠٠	,٣	٨٠
١٦ - جيبوتي	٢٢٠٠٠	٠,١١	٠,١١	١٠٠	,١	٩٤
المجموع	١٤٢٦٠٠٠٠ تقريباً	١٣٧,٧	١٢٥,٩	٪٩١,٤	١١٤,٣	

ب - دول إفريقية أخرى إسلامية بإجماع كل المصادر الإسلامية

الدولة	المساحة كم٢	عدد السكان بالمليون	مصادر إسلامية		مصادر غير إسلامية	
			عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم المئوية ٪	عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم المئوية ٪
١ - نيجيريا	٩٢٤٠٠٠	٨٢	٦٣	٧٧	٣١,٣	٤٧
٢ - غينيا بيساو	٢٢٠٠٠	,٧٥	,٥٥	٧٨	٠,٢	٣٠
٣ - فولتا العليا	٢٧٥٠٠٠	٦,٥	٣,٢	٥٨	١,٤	٢٢
المجموع	١٢٢٠٠٠٠ تقريباً	٨٩,٣	٦٦,٨	٪٧٥	٣٢,٩	

جـ - دول إفريقية أخرى تراها بعض المصادر الإسلامية أقطاراً إسلامية

الدولة	المساحة كم٢	عدد السكان بالمليون	عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم المئوية ٪	عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم المئوية ٪
١ - الحبشة	١٠٠٠٠٠٠	٣٠	١٥	٥٠	١١,٨	٤٠
٢ - تانزانيا	٩٢٥٠٠٠	١٦	٩,٦	٦٠	٣,٨	٢٤
٣ - ساحل العاج	٣٢٠٠٠٠	٧	٣,٨	٥٤	١,٨	٢٥
٤ - الكاميرون	٤٧٥٠٠٠	٦,٧	٤,١	٦٢	١	١٥
٥ - بنين « داهومي »	١١٣٠٠٠	٣,٣	١,٧	٥٥	٠,٥	١٦

٦ - إفريقيا الوسطى	٦٢٣٠٠٠	١,٩	٠,٩٦	٥١	,١	٥
٧ - سيراليون	٧٢٠٠٠	٣,٣	١,٧	٥٣	,١	٣٠
٨ - توغو	٥٦٦٠٠	٢,٤	١,٢	٥٠	,٢	٧
المجموع	٣٦٠٠٠٠٠ تقريباً	٧٠,٦	٣٨	٥٤٪	١٨,٤	

د - الأقليات المسلمة في إفريقيا

الدولة	عدد السكان بالمليون	مصادر إسلامية		مصادر غير إسلامية	
		عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم ٪	عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم ٪
ملاوي	٥	٢	٤٠	,٨	١٥
ليبيريا	١,٧	٠,٤	٢٤	,٣	١٥
موريشيوس	٠,٩٠	٠,٢٢	٢٤	,٢	١٧
كينيا	١٢	٢,٦	٢٢	١,٣	٩
غابون	٠,٦	٠,٢٧	٤٥	,٠٠٦	١
أوغندا	١٢,٥	٤,٢	٣٤	,٧	٦
مدغشقر (ملاغاسي)	٧,٩	١,٦	٢٠	,٦	٧
زامبيا	٤,٥	٠,٩	٢٠	,٠٤٥	١
الكنغو برازفيل	١	٠,١	١٠	–	–
زائير	٢٥	٠,٥	٢	٠,٥	٢
غانا	٩	٢,٩	٣٠	٢	١٩

من الجداول السابقة يتضح لنا ما يأتي:

١ - أن هناك ست عشرة دولة إفريقية إسلامية بإجماع جميع المصادر الإسلامية وغير الإسلامية.

٢ - يصل عدد الدول الإسلامية الافريقية وفقاً لجميع المصادر الإسلامية إلى تسع عشرة دولة، يصل مجموع سكانها إلى ٢٢٧ مليوناً تقريباً، ويصل عدد المسلمين وفق تقدير المصادر الإسلامية إلى ١٩٣ مليوناً أي بنسبة ٨٥٪ تقريباً من مجموع السكان، ويصل عدد المسلمين في هذه الأقطار وفق تقديرات المصادر غير الإسلامية إلى ١٤٧ مليوناً كما تصل مساحة هذه الأقطار الإسلامية إلى أكثر من خمسة عشر مليون كيلو متر مربع أي أكثر من نصف مساحة القارة الإفريقية كلها.

٣ - ترى بعض المصادر الإسلامية أن عدد الدول الإفريقية الإسلامية يصل إلى سبع وعشرين دولة، يصل مجموع سكانها إلى ٢٩٨ مليوناً، ويصل عدد المسلمين فيها وفقاً لهذه المصادر إلى ٢٣١ مليوناً أي بنسبة ٧٨٪، كما تصل مساحة هذه الأقطار السبعة والعشرين إلى ما يقرب من تسعة عشر مليوناً من الكيلو مترات.

٤ - يزيد عدد الأقليات الإسلامية في الأقطار الإفريقية على خمسة عشر مليوناً، وقد قدره بعض الباحثين بأكثر من أربعة وعشرين مليوناً[١].

٥ - يتراوح عدد المسلمين في قارة إفريقيا ما بين ٢٣٥ و٢٥٠ مليوناً أي بنسبة تزيد على ٦٠٪ من مجموع سكان القارة الإفريقية وذلك وفقاً لتقديرات سنة ١٩٧٨ م، ويشكل مجموع المسلمين في إفريقيا أكثر من ٢٦٪ من مجموع مسلمي العالم (شكل ٣).

---

(١) البلدان الإسلامية والأقليات المسلمة، مصدر سبق ذكره، ص ٧٠٢.

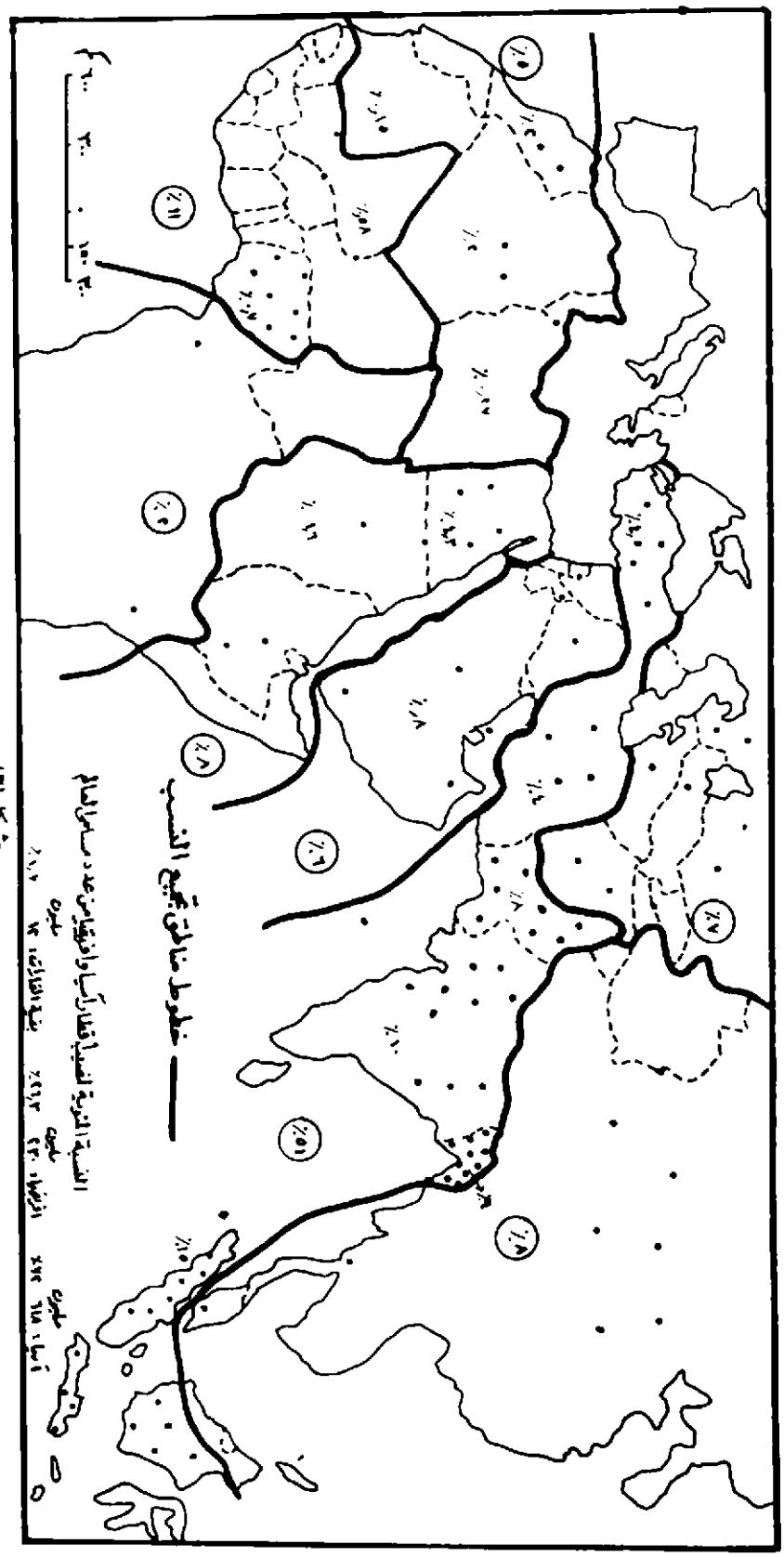
خطوط خطوط تقسيم النسب
النسبة المئوية لنصيب قطاع آسيا وأفريقيا من عدد سكان العالم
٧٠٪
٦٠٪
٥٠٪
٤٠٪
٣٠٪
٢٠٪
١٠٪
٠

شكل (٣)

الدول الإسلامية والأقليات الإسلامية في أوروبا

الدولة	المساحة كم٢	عدد السكان بالمليون	مصادر إسلامية		مصادر غير إسلامية	
			عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم ٪	عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم ٪
ألبانيا	٢٨٧٤٨	٢,٣	١,٦٢	٧٢٪	١,٨	٧٠٪

الأقليات الإسلامية

الدولة	مصادر إسلامية		مصادر غير إسلامية	
	عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم٪	عدد المسلمين بالمليون	نسبتهم ٪
يوغوسلافيا	٣,٢	١٥,٦٪	٤,١	١٩٪
بلغاريا	١,٤	١٧٪	٠,٩	١١٪

وعموماً يقدر عدد المسلمين في أوروبا بنحو تسعة ملايين، أما بالنسبة للأمريكتين فيقدر عدد المسلمين في أمريكا الشمالية بنحو ثلاثة ملايين، وفي أمريكا الجنوبية بنحو ٥٠٠ ألف مسلم. ويقدر عدد المسلمين في استراليا بنحو مائة ألف مسلم.

تقدير عدد المسلمين بالعالم

على ضوء التقديرات السابقة يمكن أن نقدر عدد مسلمي العالم ما بين ٨٠٠ إلى ٩٠٠ مليون نسمة، بينما تقدره المصادر غير الإسلامية المعتدلة بنحو ٧٥٠ مليون نسمة بينما تقدره مصادر غربية بأقل من ٥٢٠ مليون نسمة[١].

(١) Richard V. Weeks, Muslims Peoples, *Op. Cit*, P. XV.

وقد قدر هذا المصدر عدد المسلمين سنة ١٩٧٨م بنحو ٧٢٠ مليونا، ووفقاً لنسب الزيادة التي تبناها فإن عدد المسلمين يصل إلى ٧٥٠ مليونا سنة ١٩٨٠م.

ويتوزع سكان العالم الإسلامي بين الأجناس المختلفة على النحو التالي تقريباً:

السلالة	العدد بالملايين تقريباً	النسبة
القوقازية	٤٩٠	٪٥٩
الزنجية	١٤٠	٪١٧
المغولية	٢٠٠	٪٢٤

وتتفاوت مساحة أقطار العالم الإسلامي بين التقديرات المختلفة ما بين ٢٥ إلى ٢٧ مليون كم٢، وتتفاوت كثافة السكان في أقطار العالم الإسلامي حيث تصل أقصاها في بنغلاديش ولبنان والبحرين، وتصل إلى أقلها في ليبيا وموريتانيا والمملكة العربية السعودية (شكل ٤).

المساحة المكانية الزمانية للعالم الإسلامي

الزمن بُعد من أبعاد الوجود لم يوله الجغرافيون حقه في دراساتهم، وهو لا يقل شأناً عن الأبعاد المكانية التي تحدد أينية الأشياء. وإذا كان الجغرافيون يحددون مواقع الأقطار على سطح الأرض في إطار درجات الطول ودرجات العرض، فإن الموجودات لا بد أن تحدد في إطار زمني. فلو فرضنا أن دولة امتدت بين درجات عرض وطول معينة، فلا بد أيضاً أن يستند وجودها إلى تواريخ معينة تحدد استمرار وجودها، وعلى ذلك فالبعد الزمني يحدد مواقع الأحداث من خريطة الوجود الزمنية. ويختلف البعد الزمني عن الأبعاد المكانية في أنه بعد متحرك راحل يمضي في اتجاه واحد فقط.

وإن كنا نستطيع أن نتحرك في إطار الأبعاد المكانية ذهاباً وإياباً فإن ذلك لا ينطبق على البعد الزمني.

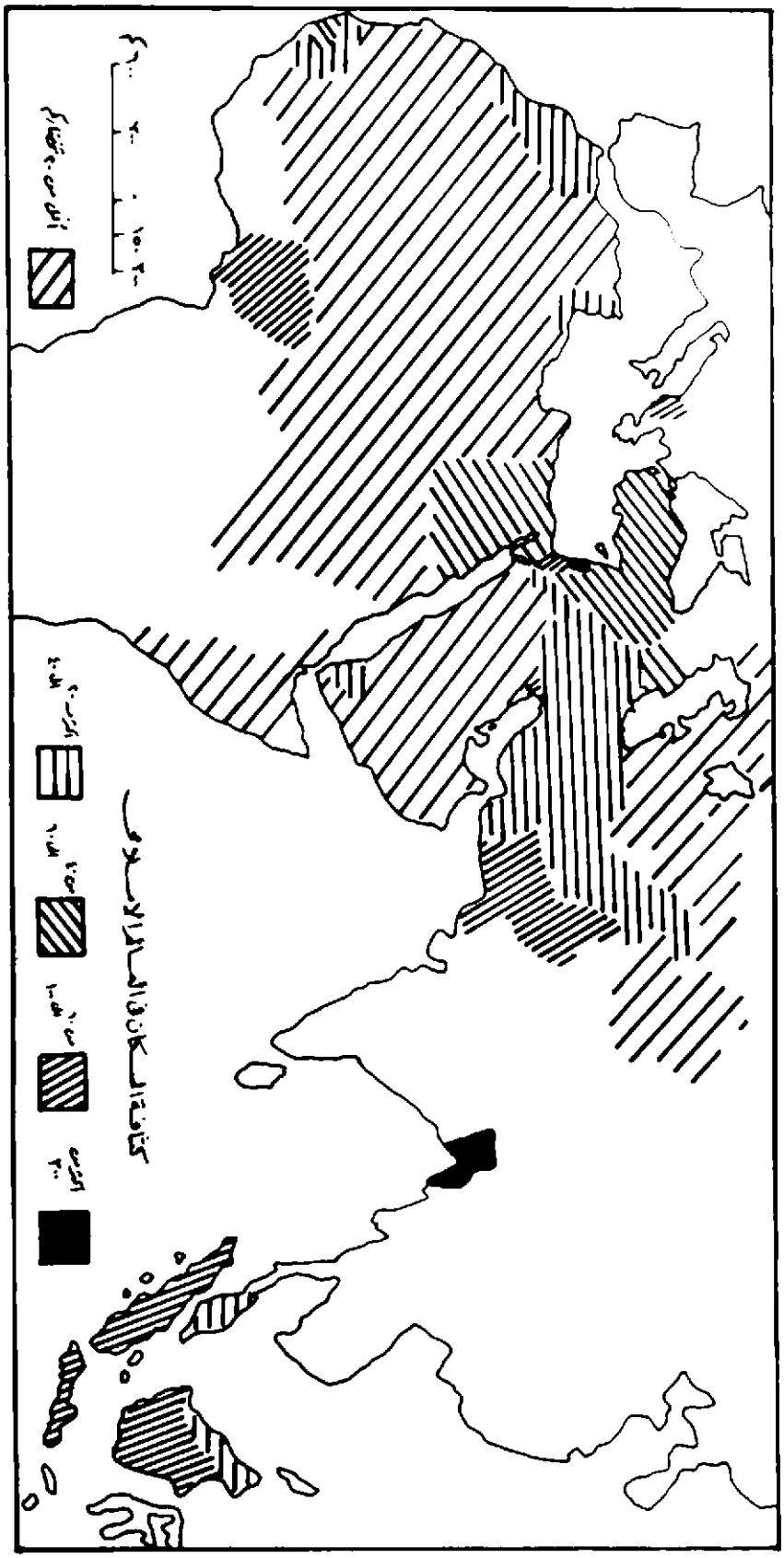

شكل (٤)

وعلى الرغم من اختلاف الأبعاد المكانية والزمانية في خصائصها إلا أن هذه الأبعاد هي إطارات الوجود.

وإذا كان من الميسور تحديد مساحة الدولة بما تشغله من أبعاد مكانية، فإن استمرار وجودها يمكن أن يحدد بما شغلته من أبعاد زمانية. وعلى ذلك يمكن أن نصوغ مصطلحاً جديداً يعتمد على الأبعاد المكانية والزمانية، ألا وهو المساحة المكانية الزمانية.

ويقصد الباحث بالمساحة المكانية الزمانية للعالم الإسلامي، تلك المساحة التي غطتها الدولة الاسلامية مضروبة في عدد السنين التي استمرتها هذه الدولة، أي استمرار المساحة في الإطار الزمني، وعلى سبيل المثال، لو قلنا إن حكم أبي بكر الصديق استمر سنتين على رقعة من الأرض امتدت على مساحة ثلاثة ملايين من الكيلو مترات، فإن المساحة المكانية الزمانية للدولة الإسلامية في عهد أبي بكر تصل إلى ستة ملايين كيلو متر مربع سنة على النحو التالي:

المساحة المكانية الزمانية للدولة الإسلامية في عهد أبي بكر
= المساحة المكانية × عدد السنوات التي استمرتها
= ٣ مليون كيلو متر مربع ×٢ (سنة) = ٦ مليون كم٢/سنة

ووفق المعادلة السابقة يمكن تتبع المساحة المكانية الزمانية للعالم الإسلامي كما يلي[١]: (شكل ٥).

---

(١) اعتمد الباحث في تقدير المساحات على عدة مصادر منها: خريطة الفتوحات الإسلامية، التي أوردها أحد سوسة في كتابه، العراق في الخوارط القديمة، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م، خارطة رقم ١١.

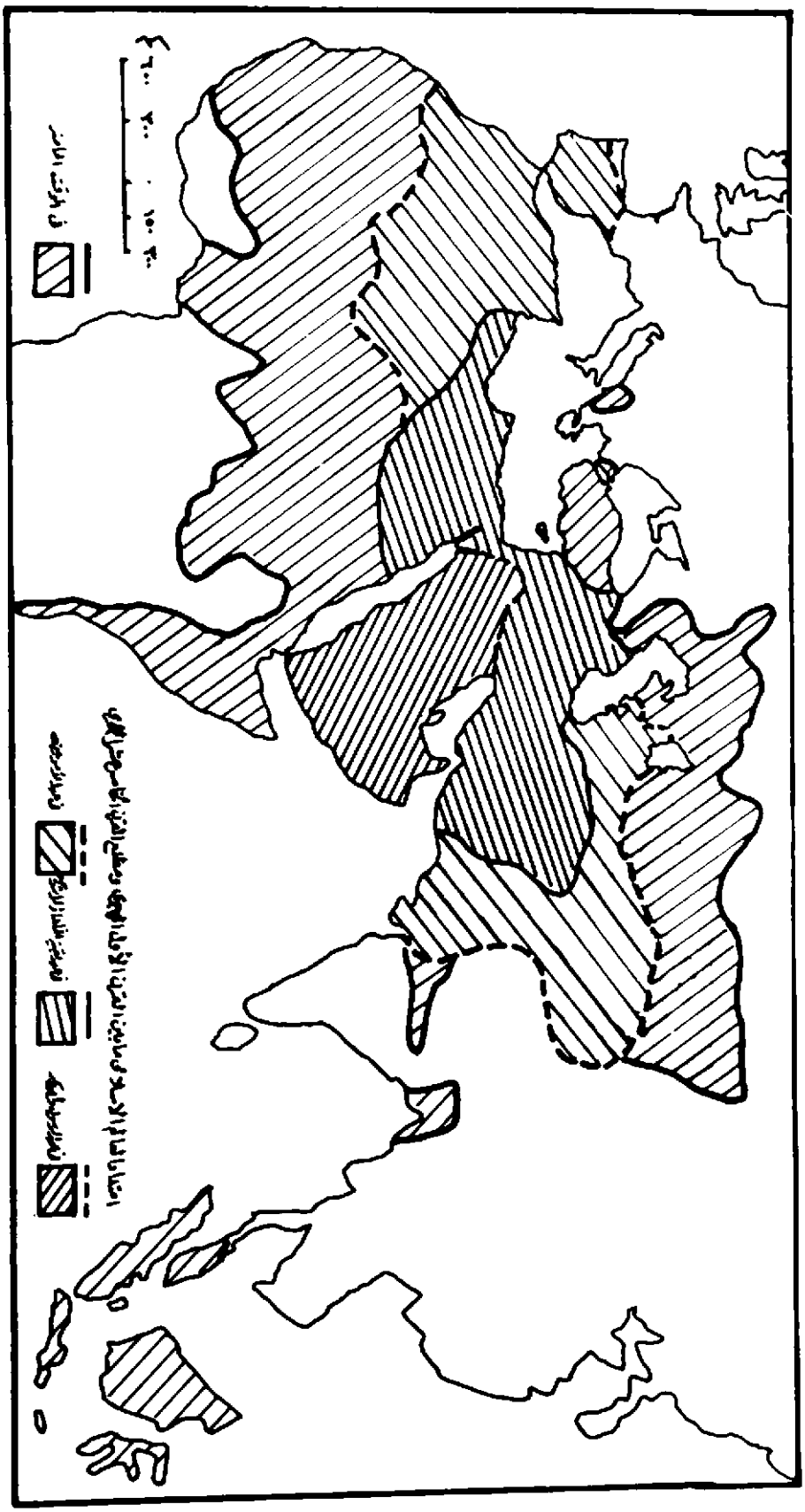

شكل (٥)

الدولة	السنة	المساحة الوجودية (الزمانية المكانية)
١ - في عهد الرسول عليه السلام وأبي بكر.	من سنة ١ هـ إلى ١٣ هـ (٦٢٢م-٦٣٢م)	٨ مليون كم٢/سنة
٢ - بقية الخلفاء الراشدين	١٣ هـ - ٤٠ هـ (٦٣٢م-٦٦١م)	٢٣٢ مليون كم٢/سنة
٣ - الدولة الأموية	٤١ هـ - ١٣٢ هـ (٦٦١م-٧٥٠م)	١٠٠٠ مليون كم٢/سنة
٤ - العباسيون والدويلات الاسلامية	١٣٢هـ - ٧٠٠هـ (٧٥٠م-١٣٠٠م)	٩٠٠٠ مليون كم٢/سنة
٥ - العثمانيون والدول الإسلامية	٧٠٠هـ-١٣٤٠ هـ (١٣٠٠م-١٩٢١م)	١٥٠٠٠ مليون كم٢/سنة
٦ - العالم الاسلامي الحديث	١٣٤٠ هـ-١٤٠٠هـ (١٩٢١م-١٩٨٠م)	١٧٠٠ مليون كم٢/سنة

من الجدول السابق نجد أن المساحة الوجودية (الزمانية المكانية) للعالم الإسلامي وصلت حتى بداية القرن الخامس عشر الهجري إلى ٢٦٩٤٠ مليون كم٢/سنة، مع ملاحظة احتساب نسبة (معامل خطأ) ± ٧٪[١]، ويرجع ذلك إلى عوامل كثيرة نذكر منها:

١ - صعوبة احتساب المساحات بدقة لعدم توفر الخرائط الدقيقة التي تحدد

(٢) نسبة معامل الخطأ من تقدير الباحث بعد مقارنة بين المصادر المختلفة التي اعتمدت عليها الدراسة.

المساحات تحديداً واضحاً لأن فن رسم الخرائط لم يكن قد تطور أو اكتمل بالصورة التي تتيح تمثيلاً حقيقياً لأبعاد الدولة الإسلامية.

٢ - اختلاف حدود امتداد الفتوح الإسلامية بين المراجع المختلفة وإن كانت هذه الاختلافات تبدو طفيفة إلا أنها على خرائط صغيرة ذات مقياس رسم صغير يبدأ من ١ : ٧ مليون في بعض الخرائط ويصل في خرائط أخرى إلى ١ : ٣٢,٥ مليون، ومعنى ذلك أن أي اختلاف صغير في رسم حدود انتشار الإسلام يعني زيادة أو نقصاً كبيراً في المساحة، وعلى سبيل المثال إذا كان مقياس الرسم ١ : ٣٢,٥ مليون، فكل سنتيمتر على الخريطة يمثل في الواقع (٣٢٥ كيلو متراً).

٣ - امتداد أطراف الدولة الإسلامية في بعض الفترات وانكماشها في فترات أخرى كما هي الحال في شبه جزيرة أيبريا وصقلية وقبرص وشبه جزيرة البلقان.

٤ - الاختلافات حول تحديد مفهوم الدول الإسلامية بين الباحثين، كما هي الحال بالنسبة للحبشة وتنزانيا وتوغو وغيرها، وقد آثر الباحث (الوسطية) إزاء هذه الاختلافات واعتمد على المساحات التي يشكل عدد المسلمين أكبر نسبة بين طوائف الديانات المختلفة.

ونتيجة للعوامل السابقة الذكر، فإن المساحة الوجودية الزمانية والمكانية للعالم الإسلامي قد غطت ما بين ٢٥ ألف مليون كم٢/سنة، و٢٨ ألف مليون كم٢/سنة، أو ما يعادل جميع يابس الكرة الأرضية لمدة ١٨٠ سنة (شكل ٦).

إن احتساب المساحة الوجودية الزمانية المكانية أسلوب جديد يقترحه الباحث في مجال الجغرافيا السياسية، ويهدف لتيسير المقارنة بين الدولة الإسلامية أو العالم الإسلامي من ناحية، والإمبراطوريات الأخرى التي عرفها كوكب الأرض من ناحية أخرى، إذ أن المقارنة إذا اعتمدت على المساحة فقط فإنها تكون غير منصفة بالنسبة للإمبراطوريات ذات المساحات الصغيرة والتي استمر بقاؤها زمناً طويلاً، وإذا اعتمدت المقارنة على الاستمرار الزمني لهذه الوحدات السياسية فقط فإنه يكون

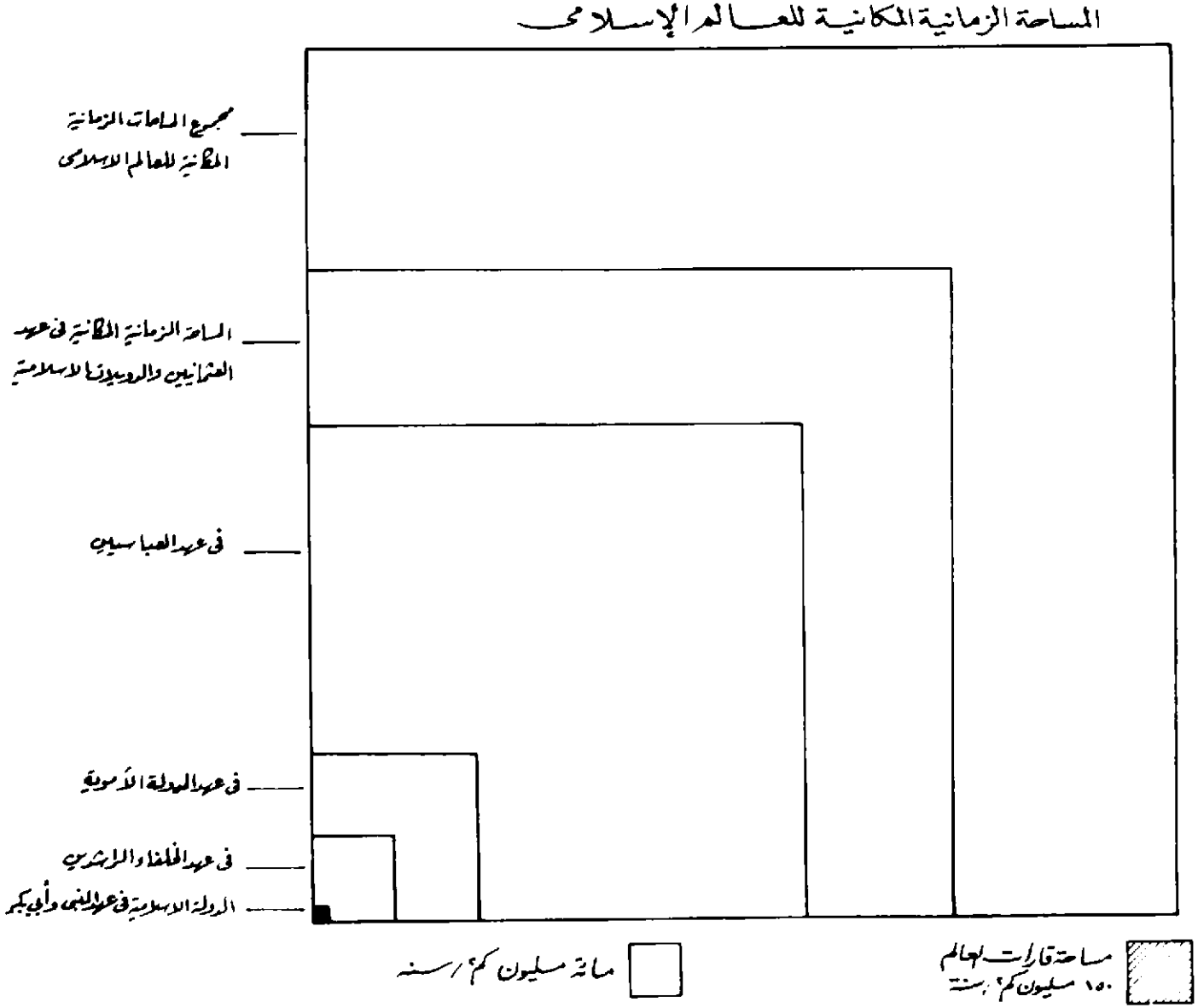

يقصد بالمساحة الزمانية المكانية للعالم الإسلامي مجموع المساحات التي امتدت عليها الدولة الإسلامية - مضروبة في عدد السنوات التي استمر فيها حكم الدولة الإسلامية.

شكل (٦)

مجحفاً بالنسبة للوحدات السياسية التي غطت مساحات كبيرة ولم يستمر بقاؤها طويلاً.

لذا، فإن ما يقترحه الباحث من الاعتماد على المساحة المكانية والاستمرار الزمني (المساحة الوجودية الزمانية المكانية) يتيح أسلوباً منصفاً للمقارنة لا يهمل الأبعاد المكانية أو الزمانية.

خاتمة

إن تتبع نمو الدولة الإسلامية يظهر لنا أن صدق العقيدة وإخلاص الدعاة من أهم عوامل امتداد رقعة العالم الإسلامي بين المكان والزمان وإن كانت الظروف الجغرافية قد أسهمت إلى حد ما في تحديد المسالك التي سلكها انتشار الإسلام.

لقد مكنت حماسة وعزيمة المسلمين الأوائل من اتساع الرقعة التي عمتها الدعوة الإسلامية ففي أقل من ثمانين عاماً شملت الفتوحات الإسلامية أقاليم أوسع من تلك التي احتلها الرومان في غضون ثمانمائة عام.

إن الخريطة المكانية الزمانية للعالم الإسلامي، تتميز بأنها مترامية الأطراف بين الزمان والمكان، وأنها في نمو مستمر في إطار المكان والاستمرار الزماني.

أهم المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

١ - أبو الحجاج، يوسف، نمط انتشار الإسلام، بحث قدم للمؤتمر الجغرافي الاسلامي الأول (الرياض)، سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م).

٢ - أرنولد، سيرتوماس، الدعوة إلى الإسلام، القاهرة، سنة ١٩٧٠ م.

٣ - العقاد، عباس محمود، ما يقال عن الإسلام «العالم الإسلامي والجغرافيا الدينية» مجلة الأزهر، ربيع أول سنة ١٣٧٩ هـ، ص ص ٣٥٠-٣٥٨.

٤ - عزام، عبد الرحمن، الرسالة الخالدة، دار الشروق، طبعة بيروت، الطبعة الرابعة (بدون سنة طبع).

٥ - غلاب، محمد السيد، الجغرافيا التاريخية للإسلام، القاهرة، سنة ١٩٧٢ م.

٦ - غلاب، محمد السيد، وآخران، البلدان الإسلامية والأقليات الإسلامية في العالم المعاصر، من مطبوعات المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، صفر سنة ١٣٩٩ هـ.

ثانياً : المصادر الأجنبية

1. The Europa yearbook., *A world Survey*, vols. 1. 2. 3.,1911.
2. The Islamic Conference, *Islamic World Gazetter, Karatchi*, 1975.
3. *The Weekly News magazine Time*, **The world of Islam**, special report, April 16, 1979, pp. 6-16.
4. *The world Almanac*, puplished Anually by Newspaper Enterprise Association, Inc., New York, 1975.
5. Weekes, Richard V., *Muslim Peoples, A world Ethnographic Survey*, London, 1978.

The Map of The Islamic World

Dr. Mohammad M. Mohammadien

Assistant Professor, Geography Dept., College of Education, King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia.

This study follows the expansion of the Islamic world from the begining of the seventh century up to now. It discusses the influences of geographical factors upon the spread of Islam and the growth of the Islamic map.

The author suggests a new method by which one can compare between political units to show their temporal continuity and the areas they occupy.

This method is called «The temporal spatial area index» and is expressed in km^2 / year.